

DOI: 10.54240/2318-015-002-021

محورية الدراسات السابقة في البحوث التاريخية الإشكالية في المغرب

الإسلامي-دراسة تحليلية لبعض الرسائل الجامعية-

The Centrality of Previous Studies in Problematic Historical Research on the Islamic Maghreb: An Analytical Study of Selected University Theses

اسم ولقب المؤلف المرسل: بلال بوسنة- boussena bilal صص 492- 508

الدرجة والعنوان المهني: أستاذ محاضر "ب" تاريخ إسلامي، جامعة واد سوف - الجزائر.

البريد الإلكتروني: bilal.boussena19@gmail.com

تاريخ استقبال المقال: 2025/06/22.. تاريخ المراجعة: 2025/07/15... تاريخ القبول: 2025/11/19.

الملخص: تسعى هذه الورقة البحثية إلى تبين محورية الدراسات السابقة في البحوث التاريخية الإشكالية في المغرب الإسلامي، من خلال التركيز على بعض النماذج الأكاديمية المعاصرة، وبخاصة مذكرات الماستر المنجزة بجامعة وادي سوف الجزائرية. وقد انطلقت الدراسة من ثلاثة محاور أساسية: أولها عرض مفهوم البحث التاريخي الإشكالي وما يقتضيه من شروط علمية ومنهجية، وثانيها توضيح مفهوم الدراسات السابقة ودورها في بناء خلفية علمية متماسكة، أما المحور الثالث فخصص لتحليل كيفية توظيف الدراسات السابقة داخل بعض الأعمال الجامعية. ومن خلال هذا التحليل تبين أن أغلب البحوث المدروسة تعاني من ضعف واضح في إدراك وظيفة الدراسات السابقة، إذ يتم تناولها بشكل شكلي أو مجتزأ، بعيدا عن التوظيف النقدي والتحليلي المطلوب، ومن ثم تؤكد الدراسة على ضرورة الوعي بأهمية هذا المكون المنهجي ودمجه بفاعلية داخل البنية الإشكالية لأي بحث تاريخي جاد، لما له من أثر في تعميق الطرح وتوجيه مسار البحث نحو نتائج علمية رصينة.

الكلمات المفتاحية: البحث التاريخي- الإشكال- الدراسات السابقة- رسائل الماستر- التوظيف.

Abstract: This research paper aims to highlight the centrality of previous studies in problematic historical research within the Islamic Maghreb, by focusing on selected contemporary academic models, particularly master's theses completed at the University of El Oued (Wadi Souf), Algeria. The study is structured around three main axes: the first presents a methodological understanding of problematic historical research and its scientific requirements; the second clarifies the concept of previous studies and their role in building a solid scholarly foundation; while the third is devoted to analyzing how previous studies are integrated into selected academic works. The analysis reveals that most of the examined theses suffer from a clear weakness in understanding the function of previous studies, as they are often addressed in a superficial or fragmented manner, lacking the necessary critical and analytical engagement. The study thus emphasizes the need to raise awareness of the importance of this methodological component and to integrate it effectively within the problematic framework of any serious historical research, given its impact on deepening the argument and guiding the research toward sound academic outcomes.

Keywords: Historical research- Problematic approach- Previous studies- Master's theses- Methodological integration.

المقدمة: تعد الدراسات السابقة من أهم الدعائم المنهجية التي تسهم في بناء البحث العلمي، فهي تمثل الخلفية المعرفية التي ينطلق منها الباحث لفهم موضوعه وتحديد موقعه داخل خارطة الإنتاج العلمي، وفي ميدان التاريخ، خاصة عندما تتناول القضايا الشائكة، تكتسب هذه الدراسات أهمية مضاعفة، إذ تسهم في تأطير المشاكل التاريخية، واستثمار الجهود السابقة بطريقة نقدية وتراكمية تسمح بتجاوز التكرار، وتؤسس لإضافة علمية حقيقية. وانطلاقاً من هذا حاولنا أن ننتقي عينة بحثية نمارس عليها التطبيق، تلك العينة تمثلت في مذكرات الماجستير تخصص تاريخ بجامعة الوادي سنة 2022م إلى 2024، طارحين الإشكال التالي: مدى استيعاب طلبة الماجستير تخصص تاريخ بجامعة الوادي لعنصر الدراسات السابقة في أبحاثهم التي عنيت موضوعاتها بالمغرب الإسلامي؟ وهي إشكالية تستوجب الوقوف عند مفاهيم أساسية، من قبيل البحث التاريخي الإشكالي، وأسس توظيف الدراسات السابقة، ثم تحليل مدى حضور هذا التوظيف داخل نماذج مختارة من مذكرات الماجستير، وقد هيكلنا طريقها على النحو التالي:

المحور الأول: مفهوم البحث التاريخي الإشكالي وشروطه.

المحور الثاني: مفهوم الدراسات السابقة وكيفية توظيفها في البحوث الإشكالية.

المحور الثالث: توظيف الدراسات السابقة في البحوث التاريخية الإشكالية في المغرب الإسلامي
كما تهدف هذه الورقة البحثية إلى بيان أهمية الدراسات السابقة كعنصر بنيوي في
البحث التاريخي الإشكالي، وكذلك تحديد مواطن القصور المنهجي في تعامل طلبة الماستر مع هذا
المكون، ولعلّ أبرز هدف تسعى الورقة لإبرازه هو اقتراح آليات منهجية لتعزيز وعي الطلبة
بأهمية الدراسات السابقة، ودمجها بفاعلية في بناء اشكالياتهم البحثية.

1- مفهوم البحث التاريخي الإشكالي وشروطه: يعد البحث التاريخي أحد فروع البحث العلمي
الذي يهدف إلى دراسة الماضي وفهم سياقاته، من خلال تحليل الوقائع وتفسيرها، ولتحقيق
هذا الهدف لابد من توفر مجموعة من الشروط العلمية التي تضمن موضوعية البحث ودقته،
وهذا ما نصبو إليه في هذا المحور، حيث نوضع معنى البحث التاريخي الإشكالي بدقّة ثم نبين
أهم شروطه.

1-1 مفهوم البحث التاريخي الإشكالي: من خلال هذا العنوان قد يتبادر إلى ذهن القارئ
السؤال التالي: وهل يوجد بحث غير إشكالي؟ للإجابة على هذا السؤال ارتأينا أن نفكك
متغيرات هذا العنصر، ثم نبين ونعرف كل شق على حده، ثم نعيد تركيب المفككات لكي
نحصل على مفهوم شامل للباحث التاريخي الإشكالي، وعليه فالمتغيرات تشمل: البحث، التاريخ،
الإشكال.

أ- البحث: جاء في معاجم اللغة أن: أصل "البحث" في اللغة طلبك الشيء في التراب: بَحَثَهُ
يَبْحَثُهُ بَحْثًا وَابْتَحَثَهُ¹. ومنه استعمل "البحث" بمعنى أن تسأل عن شيء وتستخير. يقال: بحث
عن الخبر وبحثه يبيحه بحثا: سأل. وكذلك اسْتَبَحَثَهُ واسْتَبَحَثَ عنه، وابتَحَثْتُ وتَبَحَّثْتُ عن
الشيء بمعنى واحد، أي فتشت عنه.

فاستعمل لفظ "بحث" في معنيين: الحفر، وطلب الشئ، ثم توسّع في دلالة الكلمة من
المادي إلى المعنوي، ومن مجال الحس إلى مجال الفكر، فأصبحت تطلق على بذل الجهد في
موضوع ما، وجمع المسائل التي تتصل به، وهو ما نعنيه هنا.

1 انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة بحث

فمعنى البحث في اللغة إذن هو: طلب أمر غائب، فما واره التراب لا شك يكون قد غبر عن الأنظار، فهو متغيّب، وكذلك ما غاب عن العقل أيضا هو غابر عن التصور، وذلك يجري البحث عن هذا أو ذاك للكشف عن حقيقته أو طبيعته¹.

أما اصطلاحا فالبحث يعني: تلك المحاولات والجهود المستمرة التي يبذلها العلماء في اكتشاف المعرفة، عن طريق التنقيب عنها وحسن عرضها وفق قواعد دقيقة في البحث والتدليل والتحليل والنقد والتجريب والتقييم، من أجل الوصول إلى الحقيقة، وإيجاد الروابط والعلاقات بين الأشياء؛ ويتوقف نجاح البحث العلمي على جودته وانضباطه العلمي من ناحية، وعلى تأثيره الإيجابي وتحقيق النفع للفرد والمجتمع من ناحية ثانية².

فالبحث العلمي هو: عمل منظم يهدف إلى حل مشكلة معرفية باستقراء جميع مكوناتها التي يظن أنها أساس الإشكال³. وهناك من عرفه بأنه: وسيلة للدراسة، يمكن بواسطتها الوصول إلى حل لمشكلة محددة من خلال التقصي الشامل والدقيق لجميع الأدلة المتعلقة بتلك المشكلة⁴. وعلى ضوء ما سبق يمكننا تعريف منهج البحث العلمي على أنه: الطريق أو الأسلوب الذي يسلكه الباحث وفق أسس من القواعد والأصول العلمية الواضحة في تقصيه للحقائق تقصيا شاملا ودقيقا في أي فرع من فروع المعرفة، وفي أي ميدان من ميادين العلوم النظرية أو التجريبية.

ب- التاريخ: جاءت لفظة التاريخ في معاجم اللغة من الفعل "أرخ"، يقال: أرخ التاريخ، أي: التعريف بالوقت⁵. وجاءت بمعنى "التقويم والتوقيت وتسجيل الأحداث على أساس الزمن". وأيضا وردت بمعنى "الخبر والأخبار"⁶، والملاحظ أن معظم تعريفات كلمة التاريخ تدور حول

1 فريد الأنصاري، أبعاديات البحث في العلوم الشرعية، منشورات الفرقان، الدار البيضاء، 1997 م، ط1، ص 24.

2 حلي عبد المنعم صابر، منهجية البحث العلمي وضوابطه في الإسلام، رابطة العالم الإسلامي، مكة، السنة 16، العدد 183، سنة 1418 هـ، ص 109.

3 فريد الأنصاري، أبعاديات البحث في العلوم الشرعية، منشورات الفرقان، الدار البيضاء، 1997 م، ط1، ص 24.

4 انظر: كامل محمد المغربي، أساليب البحث العلمي، الدار العلمية الدولية، الأردن، 2002 م، ط1، ص 18.

5 ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، ص 40.

6 مصطفى شاكر، التاريخ العربي والمؤرخون دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، 1983، ط1، ص 50/3.

معنى الإعلام بالوقت والإخبار به، فالتاريخ يعني "الإعلام بالوقت، وتعني غايته ووقته، وهو ثبات الشيء"¹.

أما مفهوم التاريخ في الاصطلاح نقتصر في تعريفنا على الرؤية الإسلامية، وذلك انسجاماً مع رؤيتنا التوحيدية الإسلامية؛ فهناك من نظر إلى التاريخ على أنه شبيه بالإنسان له ظاهر وباطن، أي؛ وصف برّاني ومحتوى داخلي عميق²، وهناك من نظر إليه من المنظور الحركي فعرفه على أنه "فن يبحث عن وقائع الزمان من حيث توقيتها، وموضوعه الإنسان والزمان"³، وعليه يكون مشتملاً على كل ما يتعلق بالأحداث التي ترتبط بالإنسان، وله زمن محدد؛ أي أنه فن لا يبحث عن الزمان من حيث التعيين والتوقيت فحسب بل عما كان في العالم أيضاً.

وهناك من نظر إليه على أنه كتلة مترابطة تحتاج إلى تتبع شبكة العلاقات الاجتماعية، من حيث تماسكها وهشاشتها، فلم يعد التاريخ مجرد تتبع الأحداث، بل مع ظهور كلمة مجتمع تغير مفهوم التاريخ وأصبح التاريخ هو البحث في شروط ميلاد المجتمعات⁴. من التعريفات السابقة للتاريخ، نلاحظ أنّ جلّها انصبّ في موضوعات وغايات التاريخ التي تدور في فلك فلسفة التاريخ، أي؛ لم يُعط تعريفًا مجملًا للتاريخ كحدث أو كعملية أولية تترتب عليها عدة عمليات تراكمية.

ومن هنا يمكننا أن نعطي تعريفًا للتاريخ يتجلى في كونه: صورة أو مشهد حدثي لحركة الإنسان عبر الزمن، أما عمليات فهم أبعاد ذلك المشهد تدخل في مهام فلسفة التاريخ والتي تعني بتحليل أبعاد ذلك المشهد، وكذلك حركة الإنسان عبر الزمن التي تقتضي وجود ذاكرة تحفظها كي يعترضها الطيّ والنسيان، لأنّ من خصائص الزمن أنه لا يعرف النكوص إلى الخلف لذا وجب على الإنسان التفكير في ذاكرة تاريخية ينجزها بفعل الكتابة التاريخية التي تعبّر عن حركته في وقت مضى، بما أنّ حركة الإنسان تسير في اتجاهات عديدة؛ من اجتماعي وسياسي

1 قاسم يزك، التاريخ ومنهج البحث نظر التاريخي، دار الفكر اللبناني، بيروت، 1990، ط 1، ص 9.

2 ابن خلدون، المقدمة، دار الكتب العلمية، بيروت، 2009، ط 9، ج 1، ص 3.

3 السخاوي، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1981، ط 1، ص 16، 18.

4 مالك بن نبي، ميلاد المجتمع، ترجمة عبد الصبور شهين، دار الفكر، دمشق، 2000، ط 1، ص 12.

و ديني...، فالكتابة التاريخية تشمل هذه الاتجاهات، ومن بين أشكال الكتابات؛ التاريخ المذهبي الذي نحن في صدد البحث فيه.

ج- الإشكال: تكمن ماهية الإشكال لغويا فيما أشار إليه ابن فارس في "السين" "الكاف" و"اللام"، ومعظم بابه المماثلة، تقول هذا الشكل أي مثله، ومن ذلك يقال: أمر مشكل، أو يقال أمر مشبه أي؛ شبه هذا¹.

والإشكال: الالتباس، قال الجوهري: أشكل الأمر أي التبس²، وأضاف ابن منظور: "وأمر إشكال ملتبسة، وبينهم أشكلة أي لبس، وأمر مشكل بضم الميم مشتقة من ملبس"³، وعلى هذا يكون مفهوم الإشكال في اللغة هو المشتبه والملتبس.

أما اصطلاحا فالإشكال هو قضية فكرية أو ثقافية أو اجتماعية، تتضمن التباسا وغموضا، وهي بحاجة إلى تفكير وتأمل ونظر لإيجاد حل له، كما يعني الإشكال الحكم والاحتمال⁴.

د- البحث التاريخي الإشكالي: مما سبق ذكره من تفكيك لمتغيرات المحور، نعيد تركيب تلك المفككات فنقول: البحث التاريخي الإشكالي هو عملية علمية يهدف إلى الكشف والتنقيب في حركة الإنسان عبر الزمن، من خلال مساءلة الوقائع والأحداث في شتى المجالات التي تشكل المجتمع ومحاولة فك اللبس أو الغموض عليها، مما يستدعي طرح تساؤلات منهجية تسعى لفهم السياقات المتعددة، وتحليل التناقضات، وتفكيك الروايات السائدة لإعادة بناء الماضي بشكل نقدي وواعٍ، أو بعبارة أدق هو ذلك الهمّ المعرفي الذي يكون الباحث جزء فيه.

1-2- شروط البحث التاريخي الإشكالي: يحتوي البحث التاريخي الإشكالي على مجموعة من الشروط تميزه عن البحث السردى الإستردادي، هناك فرق بين البحوث المنقولة والمجموعة

1 أحمد بن فارس، مقاييس اللغة، مرجع سابق، ص511.

2 الصحاح، تاج اللغة، مرجع سابق، ص610.

3 ابن منظور، لسان العرب، مرجع سابق، 176/7.

4 عبد الله الحجاج، الإشكالية والضرورة نحو حدوث الضرورة في المجتمع وتلاشي الإشكالية من السلطة، دار الكلمة، مصر، القاهرة، 2002، ص06.

من الماضي والبحوث الإشكالية التي تستدعي بحق عمق نظر في المعالجة، ولذلك سنبين في هذا العنصر أبرز الشروط التي يتميز بها البحث الإشكالي، وهي ممثلة على النحو التالي:

أولاً- تحديد إشكالية بحثية نابعة لبس أو غموض في الوقائع التاريخية؛ لأن هذه الأخيرة معقدة ومتراصة في بعضها فتعديد الإشكالات الدقيقة فيها هي واحدة من مهمات البحث الإشكالي، فلا يكفي اختيار المواضيع العامة، بل يجب على الباحث اختيار إشكالية حقيقة تكشف على غموض، أو تحقيق، أو اختلاف في التفسير لحدث أو ظاهرة تاريخية، هذه الإشكالية هي المحرك الأساسي للبحث، وهي التي تضبط وتوجه الأسئلة، مثال على ذلك: الحروب الصليبية: صراع ديني مقدس أم توسع استعماري مبكر؟ لماذا هو موضوع إشكالي؟ لأنه فيه تناقض كبير في الروايات التاريخية بين المصادر الغربية والإسلامية، كذلك لأنه يطرح قضايا شائكة وحساسة مثل: الدين والسلطة وكذلك لأنه يطرح أسئلة حديثة على أسئلة قديمة: هل الاستعمار بدأ فعلاً منذ الحروب الصليبية؟

ثانياً- القدرة على صياغة تساؤلات فرعية تخدم الإشكالية الرئيسية: ينبغي على الباحث في البحث الإشكالي أن يفكك الإشكالية بدقة إلى متغيرات فرعية، لكي تساعد في:

- تنظيم خطوات البحث.

- التركيز على جوانب الحدث أو الظاهرة من كافة جوانبها.

- استقصاء الأسباب، العلاقات، الخلفيات والنتائج.

هذه المتغيرات الفرعية تعد بمثابة الخريطة الذهنية التي يسير عليها الباحث طوال عمله، وهي تساعد في إبراز تعقيد الإشكالية وربط عناصرها ببعضها البعض.

ثالثاً- النقد الدقيق للمصادر التاريخية وتقديم مصداقيتها: يتطلب البحث التاريخي الإشكالي فحصاً نقدياً صارماً للمصادر، من حيث ظروف إنتاجها، ومعرفة من كتبها؟ وتحليل دوافعه ودرجة تحيزه. والمصادر قد تكون وثائق وهي الأكثر استخداماً، فلا يمكن أن يقوم التاريخ إلا على أساس من الوثائق، وإذا ما فقدت الوثائق أو الأصول، ضاع التاريخ إذ لا بديل عن الوثائق وحيث لا وثائق فلا تاريخ¹ وتكون بأشكال مختلفة حسب طبيعتها أو مكان تواجدها، يمكن أن

1 طه عبد الواحد ذنون، أصول البحث التاريخي، دار المدار الإسلامي، ليبيا، 2004، ط 1، ص 123.

تكون مدونات، أو أدلة شهود عيان، وقد تكون إما صحفا أو دوريات، أو دفاتر وقوانين¹، فالبحث الإشكالي هو الذي يجمع كل المصادر التي تدل على الواقعة التاريخية ثم يمارس عليها عملية النقد الموضوعي، فنقد المصادر في حد ذاته عمل جبار يؤسس إلى بحوث إشكالية بارزة. رابعا- التمييز بين الحدث التاريخي وبين روايته: يشترط على الباحث أن ينظر في الواقعة كيف حدثت، وبين كيفية نقلها أو تأويلها، مع الانتباه إلى التأثيرات السياسية والقبلية والمذهبية، فصعوبة الحدث التاريخي لا تكمن في وقوعه وإنما في كيفية نقله وتأريخه، وهنا تبرز أكبر إشكالية؛ التاريخ والتأريخ، كيف نقل التأريخ التاريخ؟ لأن التأريخ في مفهومه من منظورنا أنه: تحفظ الحادثة التاريخية وتسمح للإنسان أن يسترجعها وقت ما شاء، ويمكننا أن نعبر عن التأريخ على أنه صورة الحدث، فالمؤرخ هو المصور، والتأريخ هو الصورة، ولا يجوز للمؤرخ أن يدخل خلفياته في عملية نقله للحدث لأنه قد يبعد الواقعة عن سياقها الحقيقي الذي وقعت فيه.

في البحث الإشكالي لا يتناول الباحث الحادثة من جهة واحدة من حيث المصادر وبينما يبحث عن الحادثة في مصادر عدة ومن زوايا مختلفة وفي تخصصات أخرى، مثلا: حادثة تاريخية محورية، لا يبحث عليها في كتب التاريخ فقط يبحث في كتب الأدب والرحلة في الكتب الفقهية يمارس عملية استقصائية لكل ما يتعلق بتلك الحادثة والهدف من ذلك تشخيص الإشكالية بدقة.

خامسا- الربط بين الحدث الجزئي والحدث الكلي: من شروط العمق في البحث الإشكالي التاريخي القدرة على فهم الحدث في سياقه الخاص ثم ربطه بالتحويلات العامة، لأن الحدث هو تركيبة كلية تنطوي تحته مجموعة تراكيب، فالقدرة على التفكيك ودراسة الأجزاء في سياقاتها الزمكانية تعد من أبرز شروط البحث الإشكالي.

سادسا- الالتزام بالحياد العلمي والابتعاد عن القراءة الانتقائية: في البحث التاريخي الإشكالي، من الضروري أن يحافظ الباحث على الحياد والموضوعية في تعامله مع الوقائع والروايات، خاصة عندما تكون الأحداث مرتبطة بقضايا دينية أو قومية أو سياسية، بمعنى أن الباحث لا

1 ثائر أحمد غباري، خالد محمد أبو شعيرة، مناهج البحث التربوي، مكتبة المجتمع العربي للنشر، عمان، 2010، ط1، ص157.

ينجز البحث لأجل ميوله أو إيديولوجية، ولا يختار من المصادر ما يعزز موقفا مسبقا فقط بل يجب أن:

- يوازن بين الروايات المختلفة.
 - يعرض الآراء المتعارضة بدقة وإنصاف¹.
 - يحلل المعطيات دون انحياز².
 - يتعامل مع الماضي في سياقه التاريخي وليس بمنظور الحاضر³.
- سايغا- القدرة على التركيب التاريخي: التركيب التاريخي في البحث الإشكالي يقصد به إعادة بناء الرواية التاريخية بشكل متماسك ومنهجي، بعد المرور على مرحلة التفكيك والتحليل والنقد⁴.
- 2- مفهوم الدراسات السابقة وكيفية توظيفها في البحوث الإشكالية: من الخطوات البارزة في البحث الإشكالي الاطلاع على الدراسات السابقة في الموضوع: هل الموضوع كتب فيه من قبل؟ ما طبيعة تلك الكتابات؟، ثم إن اطلع الباحث على ما كتب من قبل له عدة فوائد بالنسبة للباحث والموضوع معا، لهذا سنحاول في هذا العنصر تعريف عنصر الدراسات السابقة وتبيان أهميتها وكيفية توظيفها في البحوث الإشكالية.

1-2 مفهوم الدراسات السابقة: اتفق معظم الباحثين على أنّ الدراسات السابقة تعني: " تلك المجموعات البحثية السابقة التي من شأنها أن تحتوي على موضوع الباحث الذي يتناوله في البحث العلمي، فتقوم الدراسات السابقة بدراسة الموضوع الذي يتناوله الباحث العلمي في بحثه ومناقشتها، إذ يعتمد الباحث العلمي على هذه الدراسات؛ وذلك من أجل تحليل محتواها ودراستها على النحو المطلوب، وبالتالي تحديد أوجه المقارنة بين الدراسات السابقة والبحث العلمي الذي يتناوله الباحث⁵، ويمكننا أن نقول عنها أنها "عرض تحليلي ونقدي للدراسات

1 ينظر: إسماعيل أحمد محمد ياغي، مصادر التاريخ الحديث ومناهج البحث فيه، مكتبة العبيكان، 2000، ط1، ص220.

2 ينظر: وسام بورق، التحيز والموضوعية في العلوم الإنسانية رؤية ادوارد سعيد، دار الأيام للنشر والتوزيع، عمان، 2014، ط1، ص37.

3 ينظر: هاني يحي نصر، منهج البحث العلمي، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2004، ط1، ص119.

4 ينظر: عبد الناصر جندلي، تقنيات ومناهج البحث في العلوم السياسية والاجتماعية، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2005، ص164.

5 أحمد ابراهيم حضر، إعداد البحوث والرسائل الجامعية من الفكرة إلى الخاتمة، القاهرة، مصر، ص154.

والأبحاث التي عالج الموضوع نفسه أو بعض زواياه. والدراسات السابقة في البحث الإشكالية يجب أن تكون أكاديمية خضعت للتحكيم ووضعت في البيانات التي يسهل الحصول عليها، وهذا حتى تلملم الدراسات وينظر إليها على أنها كتلة واحدة خادمة للموضوع.

2-3 أهمية الدراسات السابقة في البحث الإشكالي: تكمن أهمية هذا العنصر في تحديد النقاط التالية¹:

- تحديد الفجوة البحثية: تساعد الباحث في اكتشاف الجوانب التي لم تتناولها الدراسات السابقة وذلك من خلال الاطلاع على توصياتهم لأنها تمثل عنصر تمرير بين السابق واللاحق، وتعتبر نقطة الانطلاق للبحث الجديد، فلا بحث من غير أصول يتكأ ويستند عليها لكي يكملها أو يصححها².

- تحقيق فهم شامل للسياق التاريخي: من خلال مراجعة الدراسات السابقة في الموضوع، يتمكن الباحث من الإلمام بالمراحل الزمنية والأحداث المفصلية المرتبطة بالموضوع، مما يعزز من قوة المعالجة.

- توفير مصادر ومراجع موثوقة: تساهم في إرشاد الباحث إلى أهم الكتب، الوثائق، والمخطوطات التي اعتمدها في دراسته السابقة مما يوفر قاعدة مصادر قوية لبناء الدراسة.

- إثراء الجانب التحليلي في البحث: وذلك من خلال الاطلاع تفسيرات متعددة للحدث التاريخي مما تعزز من عمق التحليل، كذلك توفر للباحث أدوات مقارنة تساعد على التوصل إلى نتائج منطقية.

- تعرف الباحث الصعوبات التي وقع فيها الباحثون الآخرون: التعرف على الصعوبات قبل ممارسة البحث يعد مفتاحاً أولي في يد الباحث.

- استكمال الجوانب التي وقفت عندها البحوث السابقة؛ من أجل اقتراح معالجات جديدة في عملية البحث.

1 حمزة قدة وآخرون، توظيف الدراسات السابقة في البحوث الاجتماعية، مجلة السراج في التربية وقضايا المجتمع، العدد4، مجلد6، الجزائر، 2022، ص112.

2 ربي مصطفى عليان، البحث العلمي: أسسه، مناهجه، وأساليبه، بيت الأفكار الدولية، عمان، ط1، ص70.

- ربط البحث ببعضه البعض؛ والنظر إليه على أنه وحدة متصلة ببعضها البعض.
- 2-3- شروط توظيف الدراسات السابقة: هناك عدة شروط منهجية يستعملها الباحث عند توظيفه للدراسات السابقة نوجزها على النحو التالي:
- الدراسات السابقة يجب أن تخضع إلى دراسة ونقد؛ بعد جمع الدراسات السابقة يأتي عنصر مسألة ونقد تلك الدراسات، لأنه يوجد الكثير ممن يستند إلى دراسة سابقة لم تكن مؤسسة في طرحها ويحاول البناء عليها، وهنا يكون البناء المعرفي ناقص، يجب على الباحث أن يمارس النقد لتلك الدراسات السابقة وذلك بالنظر في:
- أ- مصادرها: هل وظفت مصادر قريبة من الموضوع أم أنها استعملت مراجع بعيدة.
- ب- منهجها: هل وظفت المنهج التاريخي توظيفاً سليماً من حيث تفعيل آلياته أم لا.
- ج - خلفياتها: هل مورست في تلك الدراسة الخلفيات والتحيزات أم لا؟
- د - أمانة التوثيق: هل الدراسات السابقة آمنة في نقلها أم لا؟
- غربة الدراسات السابقة: بعد ممارسة النقد على الدراسات السابقة يأتي الدور إلى إبعاد الدراسات التي لا تتوفر فيها شروط البحث الإشكالية ويستند على الدراسات القوية، والأحسن أن يقرب الدراسات القريبة من محيطه حتى لا يوسع المجال ويقع في إمكانية وجود دراسات لم يطلع عليها.
- الربط المباشر بين الدراسات السابقة والإشكالية الحالية: يجب أن توظف الدراسات السابقة بما يخدم الإشكالية المطروحة، لا بشكل عشوائي وعام.
- تحديد أوجه التشابه والاختلاف مع البحث الحالي: يجب على الباحث أن يبرز كيف تتفق أو تختلف الدراسات السابقة مع ما طرحه في بحثه، فنقاط التشابه تؤكد على الاتصال، ونقاط الاختلاف توجي إلى عملية البناء.
- الترتيب المنهجي والزمني للدراسات السابقة؛ الدراسات السابقة ترتب زمانياً حتى يعرف الباحث تطور الموضوع فيها، كذلك ترتب من حيث زوايا المعالجة.

إن هذه الشروط نراها ضرورية بـمكان في عنصر الدراسات السابقة لما لهذا الأخير من أهمية بالغة في وحدة وتطور البحث الإشكالي، فالبحث المنفصل يبقى حبيس زمان ومكان معين، أما البحث المتصل بالدراسات السابقة يكون قويا متطورا.

3- توظيف الدراسات السابقة في البحوث التاريخية الإشكالية في المغرب الإسلامي: نمارس في هذا المحور عملية تطبيقية على بعض الرسائل الجامعية والمتمثلة في مذكرات الماستر التي ارتبطت بموضوعاتها بالمغرب الإسلامي، وقد انتقينا تلك الدراسات من قسم التاريخ بجامعة وادي سوف -الجزائر- من خلال المستودع الرقمي لجامعة الوادي، محاولين من ذلك معرفة مدى ارتباط الدراسات السابقة بالبحوث الإشكالية التاريخية؟ ثم هل تلك الدراسات وظفت عنصر الدراسات السابقة بشكل سليم يؤسس إلى تكامل البحوث من عدمها؟ بعد اطلاعنا على المنجز التاريخي الذي غُيّبت موضوعاته بالمغرب الأوسط في الفترة الممتدة ما بين 2022 إلى 2024م إي؛ فحصدنا رسائل الماستر لدفعتين متتاليتين، و تبين لنا من ذلك أن أغلب الرسائل التي اهتمت بالمغرب الإسلامي لم توظف عنصر الدراسات السابقة إطلاقا في مقدماتها، باستثناء بعض الدراسات القليلة التي سنطبق عليها في محورنا هذا، والتي تمثلت في:

- الفقهاء والأولياء في المغرب الأوسط¹.

- القدس وأهميتها عند أهل المغرب الإسلامي².

- الطرق والمسالك وأثرها على المغرب الأوسط والسودان الغربي ما بين 7هـ-9هـ³.

سنقوم بدراسة كل نموذج على حده وذلك بإيراد الكيفية التي طرح فيها عنصر الدراسات السابقة وتأثير ذلك على طبيعة الموضوع.

3-1 عنوان المذكرة: "الفقهاء والأولياء في المغرب الأوسط": تحدث الدراسة عن الدراسات السابقة على النحو الآتي: "رسالة دكتوراه موسومة بـ: علاقة الفقهاء بالمتصوفة وأثرها الاجتماعي بالمغرب الأوسط خلال القرن 8هـ - 10هـ للباحث إبراهيم مشراوي، اهتمت بالعلاقة

مذكرة ماستر من إعداد الطالبين: البشر قويدر وعادل بن عمر، تحت إشراف: أ.د غانية البشر، نوقشت سنة: 2022_2023.

مذكرة ماستر من إعداد الطالبين: نجاة سيد، مبروكة قطايم، تحت إشراف: البشر غانية، نوقشت سنة 2024_2025.

مذكرة ماستر من إعداد الطالبات: ياسي مسعودة، سبوعي رشيدة، شنتاوي زينب، تحت إشراف: بن عمارة أسماء، نوقشت سنة: 2024.

بين الفقهاء والمتصوفة بالمغرب الأوسط في الفترة الأخيرة للعصر الوسيط فهي بذلك بعيدة عن مجال دراستنا لهذا الموضوع، ودراسة أخرى تمثلت في مذكرة ماستر عنونها: علاقة المتصوفة بالفقهاء خلال العصر الموحي لطالبيين بلول عبد الكامل وغنازية سليم، هذه الدراسة من الدراسات العامة التي درست المجال الجغرافي للدولة الموحدية وركزت على القرن السادس فقط¹.

إنّ الملاحظ على الدراسة المعنونة بـ الفقهاء والأولياء في المغرب الأوسط أنها لم تحدد الإشكال الرئيسي في العنوان، والذي من خلاله يسعى الطالب لحله، فعندما نقول: الفقهاء والأولياء ماذا نريد بالضبط؟ العلاقة أم التأثير، أم التمايز لأنه أحيانا في العصر الوسيط يصعب الفصل بين الأولياء والفقهاء، فالأولياء برجة كبيرة هم فقهاء، والفقهاء لا محالة يسيرون في طريق الأولياء هذا من جهة البحث الإشكالي، أما من جهة توظيف الدراسات السابقة فإن النموذج لم يوظف الدراسات السابقة توظيفا سليما، حيث كان التوظيف سرديا انتقائيا الهدف منه ذكر دراسات شابهت الموضوع بعيدة عن الموضوع كما صرحت به الدراسة، وهنا نتساءل: ما الغرض من ذكر الدراسات السابقة إن لم تخدم الموضوع؟ الجواب عن هذا السؤال قد يؤثر في البحث الإشكالي يجعله فاقدا لخصوصيته التركيبية، فمثلا الدراسة لم تقدم قراءة نقدية لنتائج الدراسات السابقة، كما أنها لم تطلعنا على الجديد الذي ستأتي به الدراسة وهذا ما يجعل البحث منفك عن بعضه البعض لا يقدم أي خطوة تقديمية، فلو أنّ الدراسة غاصت في الدراسة السابقة التي ذكرتها وحاولت أن تنطلق منها لكي تؤشكل الموضوع أكثر وتزيل عنه الغموض لكان البحث أكمل، فمثلا لو نظرنا إلى نتائج الدراسة الموسومة بـ علاقة الفقهاء بالمتصوفة وأثرها الاجتماعي بالمغرب الأوسط خلال القرن 8 هـ - 10 هـ للباحث إبراهيم مشراوي والتي قالت فيها ما يلي²:

البشير قويدر، عادل بن عمر، الفقهاء والأولياء في المغرب الأوسط، مذكرة ماستر، قسم التاريخ، جامعة الوادي، 2022_2023، ص: ج. 1
مشراوي إبراهيم، علاقة الفقهاء بالمتصوفة وأثرها الاجتماعي بالمغرب الأوسط، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة تلمسان، ص 226

- شيوع مظاهر الانحطاط الفكري كالدروشة والدجل وغلبة الطبع الصوفي على الحياة الاجتماعية نظرا لكثرة الطرق الصوفية ومدعي الولاية وأصحاب الكرامات، وإقبال الناس على التسليم بفكرة الكرامة.

- ظهر في أواسط بعض الفقهاء الذين حادوا عن الدين ممارسات مشينة غيرت نظرة المجتمع إليهم، حيث راحوا يتكسبون من الرشوة والمال الحرام وأكل مال اليتيم، مما جعلهم في موقف ضعف لا يسمح لهم بالتصدي لممارسات أتباع المتصوفة التي لا يقبلها.

هذه النتائج من شأنها أن تحرك الباحث الذي اختار نفس الموضوع: " علاقة الفقهاء بالأولياء في المغرب الأوسط" لكن في فترة أخرى، كان عليه أن يتكأ على هذه النتائج يلاحظ من خلالها الفترة التي يدرسها والتي قد تساعده في التحليل والتفسير، كما أنه يمكنه أن يفند النتائج السابقة ويصوبها، فمثلا الدراسة أوردت نتائج مغايرة عن ما جاء في الدراسات السابقة مفادها¹:

- تجلت مظاهر الصراع بين الفقهاء والأولياء بالحدية ثم عرفت انبساطا عندما فعلت السلطة السياسية المذهب المالكي.

- تجلت مظاهر الصراع بين المتصوفة والفقهاء حول الكثير من المحادثات في الدين أهمها الحضرة.

- إن سبب العلاقة العدائية لم تكن بين الطبقة الأولى من العلماء وإنما جاءت من الأتباع الذين غالوا في التصوف وأبدعوا فيه.

نلاحظ من خلال النموذج توظيف قاصر لعنصر الدراسات السابقة، وهذا ما أثر كثيرا في طبيعة البحث وتماسكه، فلو بنت الدراسة الجديدة على الدراسة السابقة لكان الموضوع اشكالي يستدعي البحث والتحري من أجل الوصول إلى نتائج رصينة تخدم موضوع: " علاقة الفقهاء بالأولياء في المغرب الأوسط".

2-3 عنوان المذكرة: "القدس وأهميتها عند أهل المغرب الإسلامي خلال العصر الوسيط": ذكرت الدراسة في عنصر الدراسات السابقة ما يلي: " بالنسبة للدراسات السابقة لموضوع

البشير قويدر، عادل بن عمر، الفقهاء والأولياء في المغرب الأوسط، مرجع سابق، ص 167.

أهمية القدس عند أهل المغرب الإسلامي لم تكن دراسات مستقلة بل كانت تدرج ضمن الدراسات المتعلقة بالتاريخ العسكري والحربي أو أدب الرحلة، أو ضمن العلاقات بين المشرق الإسلامي والمغرب الإسلامي عامة¹، نلاحظ من خلال هذا العنصر أن الدراسة لم تقم بمسح الدراسات السابقة القريبة من الموضوع، وإنما دخلت إلى الموضوع من غير خلفية أكاديمية سابقة، وهذا ما يوحي إلى أنّ الدراسة هي السابقة في هذا الموضوع، وهنا كان جدير منها أن تصرّح أنه لا توجد دراسات سابقة عنيت بهذا الموضوع، أو أنها أهملت الدراسات السابقة وبأشرت العمل من غير تكامل بين الدراسات.

فمثلا الدراسة أوردت في قائمة مراجعها دراسة في غاية الأهمية أهمل ذكرها في الدراسات السابقة عنوانها: "إسهامات المغاربة والأندلسيين في مصر وبلاد الشام من بداية القرن السادس إلى نهاية القرن التاسع الهجري 12-15م"²، هذه الدراسة أوردت نتيجة في خاتمتها مفادها: "وفي المقابل عندما اشتد الحصار على بيت المقدس من طرف الصليبيين استنجد صلاح الدين الأيوبي بإخوانه المغاربة لفك هذا الحصار، وهذا الشعور الذي كان سائدا والذي يجب أن يسود اليوم"³، نلاحظ أنّ هذه النتيجة كان بالإمكان أن تكون المنطلق لدراسة "القدس ومكانتها عند المغاربة"، فعدم الاستناد عليها كدراسة سابقة جعل البحث منفصل من جهة ومن جهة ثانية كرّر نتائج الدراسة الأولى، وسنضرب مثالا على نتيجة أوردتها الدراسة الثانية تطابق نتيجة الدراسة الأولى، وهي على النحو التالي: "مكانة أهل المغرب الرفيعة جعلتهم محل اهتمام وإشادة، وهذا ما فعله صلاح الدين الأيوبي عندما أعطاهم الضوء الأخضر في الإقامة بالقدس فخصص لهم حي سكاني وعرف منذ ذلك الحين بحي المغاربة"⁴.

3-3 عنوان المذكرة: "الطرق والمسالك وأثرها على العلاقات بين المغرب الأوسط والسودان الغربي خلال العهد الزياني(7-9هـ): الدراسة أوردت ما يلي في عنصر الدراسات السابقة: "من

1 نجاة سيد، مبروكة قطايم، القدس وأهميتها عند أهل المغرب خلال العصر الوسيط، مذكرة ماستر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والإجتماعية، جامعة الوادي، 2023_2024، ص11.

أطروحة دكتوراه من إعداد الحاج العيفة، قسم التاريخ جامعة الجزائر، نوقشت سنة: 2009_2010. 2

المرجع نفسه، ص429. 3

1- نجاة السيد، مبروكة قطايم، مصدر سابق، ص480.

خلال اطلعنا على الدراسات السابقة تبين لنا وجود دراسات قريبة من موضوعنا مثل: أطروحة الدكتوراه للباحثة: بوداوية مبخوت، تحت عنوان: " العلاقات الثقافية والتجارية للسودان الغربي في الدولة الزيانية"¹، الملاحظ على هذه الدراسة أنها لم توظف شروط التعامل مع الدراسات السابقة وذلك بفحص طريقة إنجازها، والنظر في نتائجها، ثم تبين الفرق بين الدراسة السابقة والدراسة الحالية، هذه الشروط كلها كانت غائبة عن هذه الدراسة وهذا ما يوحي بحق أن الدراسة لا تملك تاريخاً ترتكز عليه وإنما انطلقت من نقطة الصفر.

الخاتمة: في ختام هذه الورقة البحثية نقول: أنّ البحث الأكاديمي في طور الماستر الخاص بدفعتي 2022-2023 و 2023-2024 لم يعرف التوظيف السليم لعنصر الدراسات السابقة في البحوث التاريخية الإشكالية التي عنيت موضوعاتها بالمغرب الإسلامي وإجابتنا عن هذه الإشكالية جاءت استناداً على مجموعة من النتائج البنائية التالية:

- يتطلب البحث التاريخي الإشكالي مقارنة علمية دقيقة تستند إلى تفكيك الإشكال وتحليل أبعاده، ما يستدعي أدوات منهجية واضحة، على رأسها التوظيف السليم للدراسات السابقة.

- تمثل الدراسات السابقة ركيزة أساسية لأي عمل بحثي رصين، إذ تتيح للباحث معرفة المنجز المعرفي، وتساعد على تحديد الإضافة العلمية الممكنة، كما توجهه نحو الثغرات البحثية التي لم تعالج.

- الدراسات السابقة يجب أن تجمع و تمحص وذلك بالنظر في كيفية المعالجة، والنتائج والهدف من ذلك الارتكاز على أسس قوية.

- أظهرت النماذج المختارة من مذكرات ماستر بجامعة وادي سوف ضعفاً واضحاً في توظيف الدراسات السابقة، سواء من حيث حضورها في البناء النظري، أو في طريقة تحليلها وربطها بالإشكالية المطروحة.

- لوحظ غياب البعد التراكمي والنقدي في التعامل مع ما كتب من قبل، حيث يكتفي بعض الباحثين بذكر أسماء الدراسات دون تحليلها أو بيان علاقتها بإشكالية المعالجة، وهو ما يضعف القيمة العلمية للمذكرة.

1- ياسي مسعودة، سبوعي رشيدة، شنتاوي زينب، مرجع سابق، ص: د.

المصادر والمراجع:

- 01- فريد الأنصاري، أبحاث في العلوم الشرعية، منشورات الفرقان، الدار البيضاء، ط1، 1997م.
- 02- حلي عبد المنعم صابر، منهجية البحث العلمي وضوابطه في الإسلام، رابطة العالم الإسلامي، مكة، السنة 16، العدد 183، سنة 1418.
- 03- كامل محمد المغربي، أساليب البحث العلمي، الدار العلمية الدولية، الأردن، ط1، 2002م.
- 04- مصطفى شاكور، التاريخ العربي والمؤرخون دراسة في تطور علم التاريخ ومعرفة رجاله في الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1983.
- 05- ابن خلدون، المقدمة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط9، 2009.
- 06- السخاوي، الإعلان بالتوبيخ لمن ذم أهل التاريخ، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1.
- 07- مالك بن نبي، ميلاد المجتمع، ترجمة عبد الصبور شهين، دار الفكر، دمشق، ط1، 2000.
- 08- عبد الله الحجاج، الإشكالية والضرورة نحو حدوث الضرورة في المجتمع وتلاشي الإشكالية من السلطة، دار الكلمة، مصر، القاهرة، 2002.
- 09- طه عبد الواحد ذنون، أصول البحث التاريخي، ط1، دار المدار الإسلامي، ليبيا، 2004.
- 10- ثائر أحمد غباري، خالد محمد أبو شعيرة، مناهج البحث التربوي، ط1، مكتبة المجتمع العربي للنشر، عمان، 2010.
- 11- إسماعيل أحمد محمد ياغي، مصادر التاريخ الحديث ومناهج البحث فيه، ط1، مكتبة العبيكان، 2000.
- 12- وسام بورزق، التحيز والموضوعية في العلوم الإنسانية رؤية إدوارد سعيد، ط1، دار الأيام للنشر والتوزيع، عمان، 2014.
- 13- هاني يحيى نصري، منهج البحث العلمي، ط1، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2004.
- 14- عبد الناصر جندلي، تقنيات ومناهج البحث في العلوم السياسية والاجتماعية، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 2005.
- 15- أحمد إبراهيم حضر، إعداد البحوث والرسائل الجامعية من الفكرة إلى الخاتمة، دط، القاهرة، مصر.
- 16- حمزة قدة وآخرون، توظيف الدراسات السابقة في البحوث الاجتماعية، مجلة السراج في التربية وقضايا المجتمع، العدد4، مجلد6، الجزائر، 2022.
- 17- ربي مصطفى عليان، البحث العلمي- أسسه، مناهجه، وأساليبه، ط1، بيت الأفكار الدولية، عمان.
- 18- البشير قويدر، عادل بن عمر، الفقهاء والأولياء في المغرب الأوسط، مذكرة ماستر، قسم التاريخ، جامعة الوادي، 2022-2023.
- 19- مشراوي براهيم، علاقة الفقهاء بالمتصوفة وأثرها الاجتماعي بالمغرب الأوسط، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الوادي.
- 20- نجاة سيد، مبروكة قطايم، القدس وأهميتها عند أهل المغرب خلال العصر الوسيط، مذكرة ماستر، قسم التاريخ، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الوادي، 2023-2024.